

تداعيات "الربيع العربي" على فلسطيني الداخل

مجدي طه*

مقدمة: يعيش العالم العربي منذ ثلاث سنوات تقريبا حراكاً سياسياً واجتماعياً معقداً ومتشعباً نتيجة للظروف التي تسببت في اشتعال الثورات العربية، ورغم اختلاف وتباين وجهات النظر في مجريات الأمور العربية إلا أن حقيقة واحدة تبقى بارزة وهي بأن العالم العربي يسير نحو أفق مختلف عما كان عليه قبل أحداث ما سمي "الربيع العربي"، وهو ما يؤكد بأن التحولات الجارية على مستوى القطر العربي هي ليست تغييرات بنيوية فقط إذ أنها تحمل أيضاً أبعاداً فكرية وثقافية واجتماعية.

تناقش هذه الورقة ثلاث مسائل فيما يتعلق بمستقبل العالم العربي في ظل ما اصطلح على تسميته "الربيع العربي"، ونطلق في هذه الورقة على أساس أن الفلسطينيين في الداخل لم يؤثر بالأحداث الجارية على مستوى العالم العربي بقدر ما تأثروا بمجريات المتغيرات الحاصلة عربياً وإقليمياً.

المحور الأول من الورقة البحثية يناقش مجموعة من المؤثرات الإيجابية لحركة الربيع العربي ويبين انعكاساتها على فلسطيني الداخل أو ما يعرف بفلسطيني الخط الأخضر، ومنها على سبيل المثال لا الحصر أولاً- الهوية الجماعية وتأثير ثقافة الاحتجاج بمعنى تعاضد المركبات القومية والدينية في هوية الفلسطينيين والتي برزت عن طريق النضال الفلسطيني بالإضافة إلى اكتساب وسائل احتجاج وأدوات نضال قد تكون متاحة أمام الفلسطينيين وهي مستلهمة من تجربة الشعوب العربية المنتفضة، ثانياً- تعزيز المنظومة القيمية وبروز حالة التماهي مع المظلومين؛ بمعنى ثبوت قيم استبطان العدالة ورفض الاستبداد والقهر للشعوب المظلومة.

أما القسم الثاني من الورقة يناقش الأبعاد والارتدادات السلبية المترتبة على مواقف الفلسطينيين من الثورات العربية في الداخل الفلسطيني وهو بلا شك موضوع هام وشائك ولا سيما ما شهدته الساحة المحلية الفلسطينية من تباين وانقسام حاد وصل إلى درجات من التوتر والتصعيد بين الأحزاب العربية المرتبطة بخلفيات أيديولوجية مختلفة، ومن ثم ظاهرة الاستبشار وما رافقها من خيبة أمل ونكوص عند الفلسطينيين من مسار ومآل الثورات العربية، وخصوصاً خيبة الأمل الفلسطينية العارمة من الذين طالما حملوا رايات التحول الديمقراطي في العالم العربي.

الجزء الأخير من الورقة يناقش الرؤية الإسرائيلية والتعامل الإسرائيلي مع المجتمع الفلسطيني من خلال تأثير الحراك العربي على فلسطيني الداخل، وهي جدية بالاهتمام والبحث ومنها: النظرة الإسرائيلية التي تقدم نفسها على أنها "الديموقراطية الوحيدة" في الشرق الأوسط وتعبير الفلسطينيين برحمة السلطة الإسرائيلية مقابل تعول الأنظمة العربية المستبدة، والأمر الآخر هو مناقشة تطرف المؤسسة الإسرائيلية من خلال تعاملها مع الفلسطينيين بسبب مواقفهم المؤيدة للحراك العربي وما تمخض عنه من إفرازات وأنظمة "معادية" تعتبر المؤسسة الإسرائيلية تحديداً لأمنها القومي، ومن ثم تتطرق الورقة إلى انشغال الفلسطينيين بالأحداث العربية القطرية وإهمال جانب النضال المحلي واستغلال المؤسسة الإسرائيلية للأحداث من خلال الاستفراء بالفلسطينيين وتعزيز وجودها وطابعها اليهودي وتكثيف الاستيطان والتهويد ومصادرة الأراضي وتشريع القوانين العنصرية وتصعيد الاعتداءات ضد المقدسات، وخاصة التصعيد الذي تشهده مدينة القدس والمسجد الأقصى المبارك، وزيادة وتيرة الاقتحامات والاعتداءات من المستوطنين على الأماكن المقدسة ومحاولات تقسيم المسجد الأقصى زمانياً ومكانياً، إضافة إلى محاولات فرض السيادة الإسرائيلية على المسجد الأقصى، والأهم إسرائيلياً هو محاولة الوصول إلى تصفية للقضية الفلسطينية من خلال المفاوضات الجارية حالياً في ظل الترهل والضعف العربي.

* باحث في مركز الدراسات المعاصرة، الداخل الفلسطيني، <magdy@center-cs.net>

أولاً. الربيع العربي: مؤثرات ايجابية

1. الهوية الجماعية وتأثير ثقافة الاحتجاج: يعيش الفلسطينيون في الداخل حالة مركبة ونادرة مقارنة بباقي المجموعات القومية والأقليات في العالم على الصعيد الاجتماعي والسياسي والثقافي، فمنذ الإعلان عن قيام المؤسسة الإسرائيلية في العام 1948 خضع الفلسطينيون مباشرة إلى حكم عسكري إسرائيلي امتد على مدار 18 عام بين السنوات 1948-1966، وفي خضم نكبة الشعب الفلسطيني فقد الفلسطينيون غالبية النخب الوطنية والسياسية والفكرية والثقافية (الحوت، 1984، 1991)، ونشير في هذه الدراسة إلى المجموعة الفلسطينية التي أقيمت على أراضيها المؤسسة الإسرائيلية عام 1948 وعلى مساحة تبلغ أكثر من 78% من ارض فلسطين التاريخية.

عانى الفلسطينيون خلال فترة الحكم العسكري من عزلة تامة عن المحيط العربي والإسلامي وحتى الفلسطيني (Lustick, 1980)، وكانت غاية الحركة الصهيونية تدجين هذه المجموعة الباقية والصامدة على أراضيها بحيث حاولت المؤسسات الإسرائيلية تمييع الهوية الفلسطينية (مرعي، 1984) في ظل صراع شديد داخل مؤسسات الحركة الصهيونية على تحديد كيفية التخلص من الفلسطينيين الباقين إذ اكتشفت معاول الحركة الصهيونية فشل عمليات التطهير العرقي والترانسفير في التخلص من الفلسطينيين رغم المحاولات المتكررة للتخلص منهم (كميرلنغ ومغدال، 2001) والاهم من ذلك حسب الرؤية الصهيونية هو عدم تهديد الحيز الديموغرافي للمؤسسة الإسرائيلية تمهيدا للإعلان عنها دولة يهودية مما وضع الأقلية الصابرة في وطنها أمام مخاطر الترحيل (Pappe, 2007).

طراً تحول كبير خلال سنوات الحكم العسكري وما بعدها على فلسطيني الداخل وخاصة بعد أحداث نكسة عام 1967 بحيث عبرت المجموعة الفلسطينية عن تطورات هامة على مستوى الوعي الجماعي والسياسي وانحصر تعريف الهوية لدى الفلسطينيين على المركب القومي العربي ومن ثم بدأت ملامح الهوية الفلسطينية تتجذر بسبب ظهور المركبات الدينية والوطنية (Ghanem and Mustafa, 2011)، وتميزت هذه المرحلة ببرزو عدة أبحاث ودراسات تناقش مسألة الهوية لدى فلسطيني الداخل (ريخس، 1993)، ومنها ما عرف الفلسطينيون على أنهم إسرائيليون أو غيرها عرب إسرائيليون (سموحة، 1999، 1998)، وبدأت ملامح المركبات الوطنية والدينية تبرز في تعريف الفلسطيني لنفسه خلال حقبة السبعينيات والثمانينيات من القرن الماضي (Peres, Davis, 1969).

ويؤكد الفلسطينيون من خلال تطور وعيهم السياسي وحتى خلال خضوعهم للحكم العسكري الإسرائيلي بأنهم جزء من الأمة العربية بحيث ظهرت تيارات وحركات سياسية في ظل الحكم العسكري القمعي العنيف المفروض على الفلسطينيين عبرت عن تأثرها بالمد الناصري ومنها على سبيل المثال "حركة الأرض" التي ظهرت عام 1964 وأعلنت عن جذورها القومية الناصرية وأخرجت عن القانون بموجب قانون الطوارئ الإسرائيلي للعام 1945. وفي سنوات السبعين ظهرت تيارات وحركات سياسية أخرى رسخت الجذور الدينية والوطنية للفلسطينيين (مركز الدراسات المعاصرة، 2006).

ولقد كشفت أحداث "الربيع العربي" كشفت عن التواصل الفلسطيني العربي وأكدت مركزية المركب القومي العربي والديني في الهوية الفلسطينية حيث معلوم بأن الفلسطينيين يعيشون في خضم دوائر من الهويات وجلها في صراع وهي (الوطني والقومي والديني والمدني) (حجيرات، 2008)، ولقد تفاعل الفلسطيني مع أحداث الحراك العربي معتبراً نفسه جزءاً من التغييرات الحاصلة ولكنه لم يتدخل في شؤون الشعوب العربية، وبالتالي فإن الانعكاسات واضحة وبارزة للعيان وخاصة فيما يتعلق بتأثير ثقافة الاحتجاج على الفلسطينيين ومنها على سبيل المثال: تنظيم مظاهرات ووقفات تضامنية واحتجاجية تحمل شعارات ولافات رفعت في العالم العربي "الشعب يريد إسقاط بزاز" و"الشعب يريد إعلان الإضراب" (فلسطينيو 48، 2013)، هذه الأمثلة توضح على سبيل المثال تأثير ثقافة الاحتجاج في العالم العربي على سلوك الفلسطينيين أنفسهم والاهم من ذلك شعور هذه الأقلية بالانتماء الديني والقومي

بالإضافة إلى اكتساب آليات ووسائل احتجاج ونضال متعددة هي ثمرة "الربيع العربي"، وهو ما يعبر عن تشابك الهوية الجماعية (شعور مشترك بالانتماء إلى مجموعة) التي تظهر عبر ارتباط فلسطينيين الداخل بإخوانهم العرب والمسلمين في العالم.

2. **المنظومة القيمية (التماهي مع المظلومية):** تعززت المنظومة القيمية عند غالبية القطاعات الفلسطينية فيما يتعلق باستبطان العدل وتحقيقه ونبذ الاستبداد والقمع ورفضه. وقد وقف الفلسطينيون منذ بداية تفجر الأوضاع العربية مع حركة الشعوب المظلومة والمقهورة، فالذاكرة الجماعية الفلسطينية مليئة بالشواهد التاريخية الكارثية ويكفي ضياع الوطن مثال على ذلك ليستمد الفلسطينيون منظومتهم القيمية من العدل والإنصاف ونبذ الظلم والاستبداد. وهم يؤكدون في حقيقة واضحة وجليّة للعيان بأنهم يناصرون كل مظلوم ومكولوم ومسلوب الديار والأوطان ومهدور الكرامة الإنسانية.

الحقائق الهيستوغرافية الفلسطينية ساهمت في تفعيل سبل التماهي الإنساني والأخلاقي ودفعت الفلسطينيين نحو الانخياز إلى الشعوب العربية الساعية لنيل حريتها وانعتاقها من الأنظمة المستبدّة، هذا التفاعل حرك الجهود الفلسطينية وخاصة في الداخل الفلسطيني للتعبير عن الآراء والتماهي شبه التام مع مطالب الشعوب المطالبة بالحرية والكرامة، والأمثلة على ذلك وفيرة ويمكن لكل باحث أن يعود للإعلام الفلسطيني المحلي والقطري ليلمس ذلك من خلال جماليات المهرجانات والوقفات التضامنية والخطابات والشعارات والبيانات التي أطلقت دعماً لحركة الشعوب ومرحبة بالتغييرات المترتبة على ذلك.

حركت أحداث "الربيع العربي" المشاعر الإنسانية والأخلاقية والوجدانية التي تبرر رفع الشعوب العربية صوتها ضد الاستبداد والقمع لتحسين ظروفها المعيشية والحياتية ولنيل الحرية والكرامة وهي حقوق إنسانية رفيعة متعارف عليها في وثائق حقوق الإنسان العالمية، وينبذ الفلسطينيون الذل وامتهان كرامة الإنسان واستخفاف العقول لما طال القضية الفلسطينية من اعتداءات وإساءات من قبل المؤسسة الإسرائيلية باعتبارها جسماً احتلالياً ومن إساءة الغرب للقضية الفلسطينية، ومن مواقف بعض الدول العربية والإسلامية المترددة والضعيفة بشأن القضية الفلسطينية وتسوية الصراع (طه، 2013).

لقد دفع ما لحق بالشعب الفلسطيني من مآسي ولا يزال غالبية الفلسطينيين باتخاذ قرار جري يعبر عن موقف الإجماع الفلسطيني الإنساني فيما يتعلق بحرية الشعوب في تقرير مصيرها واستقلال قرارها السياسي وبسيادة وجودها القانوني، فالتماهي مع المظلومية هي من الدوافع الإنسانية والأخلاقية والثقافية التي يؤمن بها كل فلسطيني بناء على التجربة المأساوية المريرة التي مرت بها القضية الفلسطينية، وهي قيم قد تعززت أكثر واتضحت معانيها بشكل أعمق مع تفجر أحداث "الربيع العربي"، وتكشفت بعض تفاصيلها بعد الإعلان الأمريكي عن غزو العراق وأفغانستان وحتى عبر موقف الفلسطينيين من اعتداءات الاتحاد السوفيتي سابقاً على بعض البلدان الإسلامية وأبرزها "أفغانستان"، ومنذ بدء الانتفاضة العربية في تونس في أواخر العام 2010 علماً بأن حرص الفلسطينيين منهم من التدخل في الشؤون الداخلية للدول العربية.

ثانياً. الربيع العربي: مؤثرات سلبية

1. **انقسام الرأي بين التيارات السياسية:** نستعرض في البداية بعض الامتحانات الإحصائية التي أجريت على مواقف الفلسطينيين في الداخل مع انطلاق حركة "الربيع العربي"، وهي تظهر تعاطف وتماهي فلسطيني كبير مع الحراك العربي (تلحمي، 2011):

- 50% متفائلون، 30% يعتقدون لا تغيير، و 19% متشائمون.

- 75% مع الثورة السورية بالمقابل 17% مع النظام.

- 88% مع الثورة في اليمن، 6% مع النظام.

- 85% مع الثورة في البحرين، 8% مع السلطة.

- 35% مع التدخل الدولي الذي حصل في ليبيا و 44% ضد.

وتشير هذه المعطيات الواردة واضحة وهي تشير بما لا يدع مجالاً للشك إلى أن الفلسطينيين تأثروا بالارتدادات الحاصلة في العالم العربي، فقد أعلنت غالبية فصائل الشعب الفلسطيني موقفاً مبدئياً من قضية "الربيع العربي" رغم وجود تباين واختلافات في وجهات النظر حول مسارات الربيع العربي ونتائجه وتداعياته المستقبلية. ولكن وعلى الرغم من موقف الفلسطينيين الموحد من عدم التدخل في الشؤون الداخلية للأنظمة العربية، وعلى الرغم من الموقف الموحد في تأييد ودعم أي تغيير من شأنه أن يواجه الظلم والاستبداد والقمع إلا أن التباين وانقسام الرأي كان علامة فاصلة في بعض مراحل ومسارات حركة "الربيع العربي".

فلقد شكلت الثورة السورية على سبيل المثال شكلت أحد المفصلات والمفترقات في موقف الفلسطينيين التي كانت شبه موحدة في تأييد ودعم الثورة العربية (مركز الدراسات المعاصرة، 2013)، فعلى خلاف الأحداث في تونس وليبيا ومصر (قبل الانقلاب)، تسبب المشهد السوري في إحداث بلبله واضحة وتوترات سياسية داخل الأحزاب نفسها وبينها، فهناك حركات سياسية حسمت أمرها بشكل مبدئي من أحداث "الربيع العربي" مثل الحركة الإسلامية بما يتناسب مع آمال وطموحات الشعوب العربية ومع ثقافة الفلسطينيين في دعم وتأيد الشعوب العربية، والوقوف إلى جانب المستضعفين في الأرض، وهناك أحزاب انقسمت على نفسها بين مؤيد ومعارض للسياسات الحزب ومواقف قيادته من حركة "الربيع العربي" وذلك بسبب اختلاف وجهات النظر نتيجة للفرز المعرفي الثقافي والأخلاقي والأيديولوجي ولارتباطات بعض الناشطين والسياسيين والأكاديميين السياسية والفكرية.

نتائج استطلاع رأي أجراه مركز الدراسات المعاصرة حول الأحداث العربية مؤخراً (2013):

أحداث مصر:

- 3/7/2013: 70% انقلاب، 20% ثورة، 10% فوضى.

- أداء الجيش المصري: 49,3% سيئ جداً، 26% إيجابي

أحداث سوريا:

- في بدايتها 2011: ثورة 55%، مؤامرة 38%، فوضى 6,3%.

- 2013: ثورة 36%، مؤامرة 45%، فوضى 18,4%.

- الأسد في السلطة: 71,8% لا، 20,8% نعم، 7,3% لا أعلم.

- 74,9% متعاطفين مع الثوار، 25,1% مع النظام.

واضح من المعطيات بأن الموقف المبدئي للفلسطينيين في الداخل مؤيد للحراك العربي، ولكن هناك انقسام في الرأي وخاصة حول الأحداث الجارية على الأراضي السورية نتيجة لتعقيد الأزمة وتداخل مركبات معقدة فيها.

يرى بعض الباحثين أن الثورة السورية تحولت إلى مسرح للصراعات الدولية (الروسية- الأمريكية) (الكياي، 2012)، ونظراً لكون النظام السوري يصنف على قائمة الأنظمة المعادية للمؤسسة الإسرائيلية -ولو نظرياً- وانضمامه سوريا إلى ما يطلق عليه محور الممانعة والمقاومة، إضافة إلى الحرج الذي يقع فيه الفلسطينيون حيال استضافة النظام السوري للمقاومة الفلسطينية في مطلع القرن الحالي كمقدمة للمصالحة ولخدمة مآربه على الرغم من تاريخ النظام السوري الدموي مع الفلسطينيين، إلا أن ذلك لم يمنع من التضامن مع ثورة الشعب السوري.

2. خيبة الأمل من الذين حملوا رايات التحول الديمقراطي في العالم العربي: انتاب الفلسطينيون خيبة أمل كبيرة فيما يتعلق بالحراك العربي عموماً ومن سلوك وخطاب عدد كبير من الأحزاب والقيادات العربية القومية والليبرالية والقوى العلمانية وخصوصاً تلك التي طالبت بالتحول نحو الديمقراطية والتعددية، والتي انتقلت إلى النقيض لما كانت تنادي به ، فمثلاً الأحداث في مصر أثبتت زيف الشعارات التي نادى بها كثيرون، حيث طالبت الأحزاب السياسية بضرورة التحول الديمقراطي وإجراء إصلاحات بنيوية وجوهرية لاستعادة كرامة الشعوب العربية، ولكن سرعان ما اختبأت وراء هذه المساعي أجندات فردية ومصالح حزبية ضيقة، وأصبحت هذه التحولات مخيبة لآمال الفلسطينيين بعكس ما كان متوقعا، وما زاد الطين بلة هو استحداث مفهوم جديد غير واضح للديمقراطية يتناسب مع مقاسات سياسية وشخصية وحزبية ضيقة، وتبدل مفهوم الديمقراطية ليتحول من حكم أغلبية الشعب لحكم مجموعة يجب أن يختارها الشعب رغماً عنه.

وهناك عامل آخر لخيبة أمل الفلسطينيين وهو يتعلق بسرعة التغيير التي كانت متوقعة خلال أشهر من حركة "الربيع العربي" إلا أن الثورات العربية خرجت عن مسارها وخاصة الأحداث الجارية على الساحة السورية وأحداث الانقلاب المصري مما أصاب الأمل الفلسطيني في الصميم، فأحلام الفلسطينيون في إحداث تغييرات جذرية وعميقة تبددت وأصبحت أوهام، فالفلسطينيون علقوا آمالهم على إحداث تغييرات جذرية في القضية الفلسطينية ومركباتها وحتى على مستوى العالمين العربي والإسلامي إلا أن مسارات الحراك لم تؤت ثمارها وهي ما زالت ضبابية ومعالمها غير واضحة للأمد القصير على أقل تقدير.

ثالثاً . العلاقة بين المؤسسة الإسرائيلية والمجتمع الفلسطيني في ظل الثورات العربية

1 . تعيير الفلسطينيين بالأحداث: اتخذ الإسرائيليون موقفاً واضحاً من التحولات الجارية في العالم العربي، فقد عبر أكثر من مسؤول أمني وعسكري وسياسي عن تخوفات المؤسسة الإسرائيلية من نتائج الحراك العربي معتبرين إياه تهديداً للأمن القومي الإسرائيلي وللاستقرار السياسي والأمني في المنطقة بحيث تحول "الربيع العربي" من وجهة نظرهم إلى شتاء وخريف عربي إسلامي (كينغ، 2013)، كما أنهم اتخذوا مواقف سلبية أخرى كشفت عن حاجتهم للحفاظ على الوضع العربي الراهن وعدم تغييره نظراً لما يترتب على ذلك من مصير ومستقبل مجهول قد يقلب أوضاع الإسرائيليين رأساً على عقب (فودا وغورن، 2013).

نحن هنا لسنا بصدد عرض المواقف الإسرائيلية من "الربيع العربي" ولن نتطرق للرؤية الإسرائيلية للأحداث العربية، ولكن لا بد من الإشارة إلى أن الأحداث الدموية التي رافقت "الربيع العربي" ابتداءً من ليبيا وصولاً إلى سوريا ومصر دفعت بالإسرائيليين بالشعور بالغبطة والسرور (هارتس، 2011). الفوضى العارمة التي انتابت العالم العربي والإسلامي تخدم المؤسسة الإسرائيلية، فهي تضعف الدول العربية والإسلامية من جانب وتعزز من الهيمنة الإسرائيلية من الجانب الآخر.

وردت بعض التصريحات على لسان وزراء إسرائيليين بأن المؤسسة الإسرائيلية تتميز بكونها الديمقراطية الوحيدة في الشرق الأوسط وأن العالم العربي والإسلامي غير مؤهل بعد للديمقراطية وأهمها ما جاء على لسان رئيس الوزراء الإسرائيلي "بنيامين نتنياهو" في خطابه من على منصة الكنيست الإسرائيلي بحيث سخر من التحولات الجارية في العالم العربي والمطالبة بالتحول الديمقراطي (هارتس، 2011)، كما وأشارت مستويات سياسية وعسكرية إسرائيلية على تمتع الفلسطينيين بقدر كبير من الحقوق والحرية الاحترام الإنساني مقابل التعامل العربي بحق الشعوب والجماهير المنتفضة (فريدمان، 2014)، وهي خطوة لانتقاص من الكرامة الإنسانية العربية ولتأكيد التفوق الإسرائيلي الأخلاقي أولاً ومن ثم لتشريع عمليات القمع والتهديد في حال احتاجت المؤسسة الأمنية والشرطية ذلك مستعينة بنماذج عينية من دول الجوار العربي.

2 . تطرف تجاه الفلسطينيين بناء على المواقف من الثورات العربية: دفعت مواقف الفلسطينيين من تأييد الغالبية الساحقة للشعوب العربية ضد أنظمتها القمعية والمستبدة حفيفة الإسرائيليين فاعتبرت المؤسسة الإسرائيلية الأحداث الجارية على الساحة العربية تهديداً لأمنها القومي ولاستمرارية وجودها، فتماهي الفلسطينيون مع الشعوب العربية بات يقلق الإسرائيليين، فالتشديد على الهوية الجماعية العربية والانتماء القومي والديني أخاف الإسرائيليين، والمؤسسة الإسرائيلية تتخوف من الفلسطينيين أصلاً وتعتبرهم طابوراً خامساً وتسعى للتخلص منهم (بابيه، 2007)، وحالة الشعور بالخوف من هذه المجموعة تتعزز من خلال مواقف الفلسطينيين المؤيدة للثورات العربية وما يترتب على ذلك من نتائج، وهي الخلفية التي تدفع بالمؤسسة الإسرائيلية للتشدد أكثر تجاه الفلسطينيين وتندرد بالحدار آخر في سوء التعامل معهم بناء على مواقفهم من الثورات العربية والتي تعتبرها المؤسسة الإسرائيلية تهديداً لأمنها القومي.

1 . استغلال الأحداث الجارية في العالم العربي: تستغل المؤسسة الإسرائيلية الأحداث الجارية على صعيد العالم العربي لاقتناص الفرص من أجل تمرير مشاريعها التهودية والاستيطانية، وهذه فرصة تاريخية للمؤسسة الإسرائيلية ولا سيما في ظل انشغال العالم العربي والإسلامي بأموره الداخلية. وتحاول المؤسسة الإسرائيلية أن تتصيد الفرص لانتهاك حقوق الفلسطينيين والإعلان عن مشاريع عنصرية، بالإضافة إلى استغلال حالة الوهن والضعف العربي للوصول إلى تسوية تاريخية تجهز على القضية الفلسطينية من خلال وضعها على مائدة العلاقات الدبلوماسية والدولية (طه، 2013)، ومن جانب آخر فلا شك بأن انشغال الفلسطينيين أنفسهم بالأحداث العربية وتأثرهم بها -على الصعيد النفسي- أتاح المجال أمام المؤسسة الإسرائيلية للاستفراد بالفلسطينيين عموماً وتسوية القضية الفلسطينية وإطلاق العنان أمام وابل من الحزم والمشاريع العنصرية ومنها على سبيل المثال:

أولاً- تهويد النقب: الإعلان عن حزمة من مشاريع تستهدف النقب وهي الجزء الجنوبي من فلسطين والتي تشكل مساحة ما يقارب 40% من أرض فلسطين التاريخية (13 مليون دومت)، وتمرير قانون آخر يستهدف مصادرة مليون دومت عبر قانون شرعه الكنيست الإسرائيلي في نهاية حزيران من العام 2014 عرف بقانون "برافر- بيغن" أي قانون "تنظيم استيطان البدو في النقب" وسبقها في العام 2005 قانون آخر شرعه وسنه الكنيست الإسرائيلي عرف بقانون "طرد الغزاة"، وتعتبر هذه القوانين تعبيراً عن الرؤية الصهيونية للصراع والتي تقوم على ثلاثة مرتكزات وهي: سلب الأرض ومصادرتها كمقدمة لتهويدها، قلب الميزان الديموغرافي، وحصر التجمعات العربية في "جيتوات" من خلال قطع أواصر التواصل الجغرافي بين البلدات الفلسطينية وتفكيكه (طه وعمر، 2014).

ثانياً- استهداف الجليل- وهي المنطقة التي استولت عليها العصابات الصهيونية إبان حرب عام 1948 وقد أقرت للدولة العربية حسب لجان التحقيق التي أرسلت إلى فلسطين (بيل 1936) وقرار التقسيم للعام 1947. خطابات رئيس الوزراء الإسرائيلي ومؤسسها الأول "بن غوريون" كانت واضحة فيما يتعلق بتهويد الجليل، ويحكي بأنه أبان تجواله في الجليل عام 1948 وعند رؤيته القرى الفلسطينية تتربع على المكان صرخ قائلاً "من يتحول في هذه المنطقة ينتابه شعور ويعتقد بأن الجليل ليس جزءاً من إسرائيل" وفي مكان آخر صرخ قائلاً "الاستيطان وحده هو الذي يقرر إن كان الجليل جزءاً من إسرائيل أم لا" (بشير، 2005).

وما زالت المخططات الإسرائيلية التي تستهدف الجليل مستمرة، فقد كان مشروع "المناطر" (همتسيم) فقط محطة رئيسية وعلى أثرها تفجرت أحداث يوم الأرض في الثلاثين من آذار عام 1976، واليوم تعود مؤسسة "الهستدروت" الصهيونية والوكالة اليهودية وهي اذرع للمؤسسة الإسرائيلية وتعلن عن فشل مخطط "المناطر" في السبعينات في مهمة لقلب الميزان السكاني الديموغرافي في الجليل لصالح اليهود علماً بأن الجليل غالبية العظمى من الفلسطينيين بنسبة تصل إلى أكثر من 51% من السكان (ابو جابر، 2006)، وهي المنطقة الوحيدة التي تشكل فيها "الأقلية" الفلسطينية في الداخل أكثرية عديدة (سوفير، 1989). وكشفت وسائل إعلام عربية مؤخراً عن مخططات إسرائيلية لاستئناف مشروع "المناطر" بهدف جذب آلاف المستوطنين اليهود إلى الجليل (شتاينر

وشفيرتسبرغ، 2012) وإقامة مستوطنات وتجمعات استيطانية يهودية ومناطق صناعية وأخرى أكاديمية إضافية في الجليل لمنع الهجرة السلبية والعكسية إلى المركز (هارتس، 2013).

ثالثاً- المقدسات- استغل الإسرائيليون انشغال العالم العربي والإسلامي في قضاياهم الداخلية وانشغال الفلسطينيين بمسارات ونتائج "الربيع العربي" الذي همش النضال على المستوى الداخلي، وأتاح للإسرائيليين الفرصة لتمرير مخططات تستهدف المقدسات وعلى رأسها المسجد الأقصى المبارك. فقد حاولت أحزاب صهيونية عديدة مؤخراً ومنها "الليكود" لتمرير قوانين لفرض السيادة الإسرائيلية على المسجد الأقصى أو لتحويل المسجد الأقصى إلى نسخة ثانية من "الحرم الإبراهيمي" عبر تقسيم الأقصى مكانياً وزمانياً (الكنيست الإسرائيلي، 2012)، فقد زادت مؤخراً وتيرة الانتهاكات الإسرائيلية للمسجد الأقصى وتضاعفت حتى باتت اقتحامات المستوطنين والسواح للمسجد الأقصى عادية وشبه يومية في ظل الانشغال العربي (القدس العربي، 2014).

رابعاً: القوانين العنصرية ومنها "قانون النكبة"، قانون المواطنة والدخول إلى إسرائيل، قانون سحب المواطنة، قانون منع المقاطعة، قانون منع لم شمل العائلات الفلسطينية، قانون رفع نسبة الحسم، مشروع قانون لفرض التجنيد والخدمة العسكرية الإلزامية على المسيحيين، مشروع قانون الخدمة المدنية، قانون منع رفع صوت الآذان، قانون برفر، قانون لجان القبول، قانون "خادمي الدولة"، قانون "جنين- جنين" (عدالة، 2013).

خلاصة: ناقشت الدراسة تداعيات "الربيع العربي" على فلسطيني الداخل من خلال استعراض المؤثرات الإيجابية التي تمثلت بتأثير ثقافة الاحتجاج وتعاضم الوعي للهوية الجماعية والسياسية لدى الفلسطينيين، وبرز ذلك من خلال تصاعد التأكيد بشكل بارز على الانتماء الديني والقومي واستشعار الفلسطينيين حالة الانتماء للأمتين العربية والإسلامية، وبات ظاهراً موقف الفلسطينيين من خلال الوقفات التضامنية والمهرجانات التي عقدت تضامناً مع الشعوب العربية ويكفي الإشارة هنا إلى دور "الحركة الإسلامية" التي نظمت لوحدها أكثر من تسع عشرة وقفة تضامنية شارك فيها عشرات الآلاف من الفلسطينيين كدليل على حالة الوعي الجماعي، بالإضافة إلى استفادة فلسطيني الداخل من ثقافة الاحتجاج الذي تمثل بحراك الشعوب العربية أملاً في استناده مستقبلاً.

وتطرقت الدراسة إلى التداعيات السلبية للربيع العربي المتمثلة بانقسام الرأي السياسي فيما يتعلق بالحراك العربي وخاصة بعد الأحداث السورية، ويتضح من استطلاعات الرأي التي جرت بأن غالبية الفلسطينيين تؤيد الشعوب العربية في سعيها للتحرر من الاستبداد والظلم الذي تتعرض إليه من الأنظمة المستبدة، إضافة إلى خيبة الأمل العارمة التي رافقت الاستبشار من الذين لطالما رفعوا رايات التحول الديمقراطي في العالم العربي.

وفي نهاية الدراسة نوقشت الأبعاد المترتبة على مواقف الفلسطينيين المؤيدة عموماً للربيع العربي وما رافقه من تطرف في التعامل الإسرائيلي وتعبير الفلسطينيين بالأحداث في إشارة إلى رد فعل الأنظمة العربية على حركات الاحتجاج في محاولة لإظهار "الجنة الإسرائيلية" مقابل "جحيم" الأنظمة العربية من جهة أخرى، وساهمت أحداث "الربيع العربي" في التخفيف من وتيرة الحراك الفلسطيني نتيجة للانشغال الفلسطيني بالحراك العربي ومساره ونتائجه وما رافق ذلك من خيبة أمل ممزوجة ببصيص أمل ما أتاح للمؤسسة الإسرائيلية الاستفراد بالفلسطينيين عبر تصعيد السياسات القمعية والعنصرية وتشريع القوانين واستهداف الإنسان الفلسطيني والمقدسات.

لائحة المراجع:

المراجع بالعربية:

1. "افتحام الأقصى... بين سكوت العرب وتآمرهم"، القدس العربي، 2014.
2. "اقتراحات قوانين تمييزية أمام الكنيست التاسعة عشر"، عدالة المركز القانوني لحقوق الأقلية العربية في إسرائيل، مجلة عدالة الالكترونية، العدد 105، حزيران 2013.
3. "الربيع العربي وعام الشتاء الإسرائيلي"، هارتس، 8.12.2011. (العبرية)
4. "انطلاق الوقفة الاحتجاجية في بئر السبع ضد برافر"، فلسطينيو 48، 2013.
5. "قوانين ومشاريع قوانين تمييزية جديدة في إسرائيل"، عدالة المركز القانوني لحقوق الأقلية العربية في إسرائيل، تموز 2011.
6. "تنتياهو ضد الربيع العربي: لا يوجد تقدم، والسير إلى الخلف"، هارتس، 23.11.2011. (العبرية)
7. ابو جابر ابراهيم، "مشروع تهويد الجليل، الجليل في خطر، مشروع تهويد الجليل"، المنتدى الفكري الثالث، مركز الدراسات المعاصرة، ام الفحم، 2006.
8. بابيه ايلان، التطهير العرقي في فلسطين، ترجمة احمد خليفة، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، 2007.
9. حجيرات موسى، الهوية الجماعية لأبناء الأقلية العربية في دولة إسرائيل؛ ملائمتها وأهميتها بالنسبة لهم، كفر قزح: دار الهدى للطباعة والنشر، 2008.
10. الحوت بيان نويهض، القيادات والمؤسسات السياسية في فلسطين 1917-1948، عكا، دار الاسوار، 1984.
11. الحوت بيان نويهض، فلسطين؛ القضية، الشعب، الحضارة، التاريخ السياسي من عهد الكنعانيين حتى القرن العشرين (1917)، دار الاستقلال للدراسات والنشر، بيروت- لبنان، 1991.
12. ريخس ايلي، الأقلية العربية في إسرائيل؛ بين الشيوعية والقومية العربية، جامعة تل ابيب، 1993. (العبرية)
13. سموحة سامي، «اسرلة الهوية الجماعية والتوجه السياسي عند المواطنين الفلسطينيين في إسرائيل؛ إعادة نظر»، القدس: مركز دراسات المجتمع العربي. (العبرية)
14. سموحة سامي، «اسرلة الهوية الجماعية والتوجه السياسي للفلسطينيين مواطني دولة إسرائيل»، داخل، أيلي ريخس [محرر]، العرب في السياسة الإسرائيلية ومتاهة الهوية، تل - أبيب، 1998. (العبرية)
15. سوفير ارنون. "عرب إسرائيل: من القرية الى المدينة، وماذا بعد"، من راح حداث "الشرق الجديد"، مجلة خاصة بالعرب في إسرائيل بين النهضة الدينية واليقظة القومية، اهرون ليش (محرر)، الجامعة العبرية، القدس، 1989. (العبرية)
16. شتاينر تومي، شفيرستغ، دانا. "الجليل: الادوات والاولويات لتطوير المنطقة"، مؤتمر هرتسليا الثاني عشر، معهد السياسة والاستراتيجية، مركز متعدد المجالات، 2012. (العبرية)
17. طه مجدي عمر فادي، قراءة في المخطط المستحدث لتهويد الجليل، مركز الدراسات المعاصرة، 2014.
18. طه مجدي، الجامعة العربية والحدود المبرمة؟؟!!، مركز الدراسات المعاصرة، 2013.
19. غانم اسعد ومهند مصطفى، الفلسطينيون في إسرائيل؛ سياسات الأقلية الأصلية في الدولة الاثنية، مدار المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية، 2009.
20. فريدمان يرون، "حتى الصهاينة لم يفعلوا بنا شيء كهذا"، يديعوت احرونوت، 23.2.14. (العبرية)
21. فودا الي، غورن نمرود. اسرائيل في ظل الربيع العربي: تأقلم مع تحديات وتحقيق الفرص، الجامعة العبرية، القدس، 2013. (العبرية)
22. كمبرلنغ باروخ ومغدا، يوئل شموئيل، الفلسطينيون؛ صيرورة شعب، ترجمة محمد حمزة غنام، رام الله: مدار المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية، 2001.
23. الكيالي ماجد، "الحسابات الاقليمية للثورة السورية"، مجلة السياسة الدولية، 2012.

24. كينغ عوفر، "الربيع العربي والديمقراطية: إلقاء نظرة على المؤشرات المقارنة"، المعهد الإسرائيلي للديمقراطية، 2013. (العبرية)
25. لوستيك ايان، العرب في الدولة اليهودية: سيطرة إسرائيلية على أقلية قومية، حيفا، 1985. (العبرية)
26. مرعي سامي، «التربية والثقافة والهوية»، المواقف، العدد 2، 1984.
27. مركز الدراسات المعاصرة، المجتمع العربي في الداخل الفلسطيني؛ دراسة واقع الأقلية العربية في الداخل الفلسطيني، أم الفحم: مركز الدراسات المعاصرة، 2006.

المراجع الأجنبية:

1. Ghanem, Asad and Mustafa, Mohanad, « The Palestinians in Israel; The Challenge of indigenous Group Politics In The Jewish state » , *Journal of Muslim Minority Affairs*, 2011.
2. Lustick, Ian, *Arabs in the Jewish State, Israel's Control of a National Minority*, Austin, Texas: University of Texas Press, 1980.
3. Pappe, Ilan, *The Ethnic Cleansing in Palestine*, Oxford, OneWord, 2007.
4. Peres Y, Youval Davis, N. Some, Observation on the National Identity of the Israeli Arabs, *Human Relation*, 22, 1969, P 219-233.
5. Telhami, Shibley, *Public Opinion Polls of Jewish and Arab Citizens of Israel*, University of Maryland, 2011.